جغرافيا الأجيال والتوجهات التشكيلية خلال نصف قرن...

نجوان درويش

"فلسطين : الإبداع في كل حالاته"، الـمعرض الجماعي الـمقام، حالياً، في "معهد العالـم العربي" بباريس، والذي يستمر حتى الثاني والعشرين من تشرين الثاني الـمقبل، يكشف عن غنى وحيوية في الـمشهد الفني الفلسطيني والعربي. أعمال مشغولة بمختلف الوسائط التعبيرية، من الرسم إلى التركيب والتصوير الفوتوغرافي والفيديو، وقّعها تسعة عشر تشكيلياً، من سامية حلبي (1936) وكمال بُلاطه (1943) ومنى حاطوم (1952) مروراً بشريف واكد (1964) وتيسير البطنيجي (1966) ورنا بشارة (1971) وآملي جاسر (1970) إلى ستيف سابيلا (1975) وهاني زعرب (1976) وغيرهم... يحمل الـمعرض تقدماً نوعياً عن الـمعرض الذي أقامه "معهد العالـم العربي" في تظاهرة "ربيع فلسطين" العام 1997، لا شك في أن مرور عقد من الزمن يظهر تطور الـمشهد التشكيلي الفلسطيني والأسماء الجديدة التي التحقت به، وخصوصاً أن عملية اختيار الفنانين تجنّبت هذه الـمرّة مجموعة من الأسماء "الـمكرّسة".

يُمثّل الـمشاركون جغرافيا الأجيال والتوجهات التي قدَّمت أعمالها على امتداد أكثر من نصف قرن في الوطن الـمحتل وفي أرض اللجوء. ولعلَّ الـمستوى الفني لأكثرية الـمشاركين في هذا الـمعرض أفضل ــ لناحية تمثيله للفن الفلسطيني والعربي ــ من مستوى التمثيل الذي قُدّم أخيراً في الـمعرض الفلسطيني على هامش "بينالي البندقية 53"، والذي اندرج ضمن "فعالية جانبية" على هامش البينالي، ولـم يكن "جناحاً فلسطينياً" كما أشاع منظّموه.

أمام الأعمال الـمشاركة في معرض "فلسطين: الإبداع في كل حالاته"، الذي نسّقته منى خزندار، نلحظ غلبة فنون الفيديو والتركيب الإنشائي والتصوير الفوتوغرافي، فيما يأخذ الرسم مساحة صغيرة لكنَّها نوعية.

كمال بُلاطه قدّم ثلاث لوحات مرسومة العام 2001 حيث يبني التشكيلي علاقته باللامرئي (الروحي) من خلال الهندسة ليحقق ذلك التزاوج بين السماوي والأرضي الذي عرفه في القدس. سامية حلبي تشارك بلوحة واحدة بعنوان "فلسطين من النهر إلى البحر" (2003)، فيما يشارك هاني زعرب ـ أحد أبرز رسامي جيله ـ بثماني لوحات قدّمها في معرضه الأخير (ستاند ـ باي) الذي يتناول ستينية النكبة الفلسطينية. تسجّل لزعرب قدرته على تقديم لوحة فيها قدر من الصدمة والخلخلة لفن الرسم، وخصوصاً أنّ الاهتمام بهذا الأخير يتراجع أمام وسائط التعبير الجديدة.

في التركيب، تقدّم آملي جاسر واحداً من أعمالها الذي سبق أن عرض في الـمعرض الجماعي "صنع في فلسطين" (تكساس؛ الولايات الـمتحدة 2003). العمل هو خيمة قامت الفنانة بتطريز أسماء القرى التي دمّرها الاحتلال في 1948 يدوياً عليها. وتعرض منى حاطوم هنا أيضاً عملها "بخارى" (أحمر وأبيض ـ 2008) وهو عبارة عن سجادة نفّذت عليها الفنانة خارطة للعالـم مكتنزة بالدلالات السياسية والثقافية. من جهتها، تقدّم رنا بشارة عملين تركيبيين؛ أحدهما "كوفية للأسرى" (2009) مصنوعة من الكلبشات البلاستيكية، و"تكريم للطفولة" (2008) الذي يرّكز على خامتي البلالين وصور الأطفال والذي قدمته بشارة عدة مرات في فلسطين، وكان كل مرة يتطور مع ما يصيب الأطفال من الحدث السياسي وجرائم الاحتلال. فعوضاً عن الصور الفوتوغرافية الأرشيفية لأطفال فلسطينيين داخل البلالين الـمنفوخة، قدمت الفنانة ـ أثناء عدوان مطلع العام على غزة ـ جانباً من "تكريم الطفولة" على أدراج "باب العمود" في القدس وقد استبدلت الصور الفوتوغرافية بدم بشري داخل البالونات الـمبعثرة. تحت عنوان "الولايات الـمتحدة الفلسطينية" (2008) يقدّم خليل رباح عملاً يبدو إكزوتيكياً أكثر منه فناً مفهومياً. في مجال التصوير الفوتوغرافي، يبرز عمل ستيف سابيلا "في الـمنفى"(2008)، ويقوم على إيجاد شكل بصري لحالة الـمنفى. وفي مجال الفيديو، يقدّم شريف واكد عمله اللافت عن "الحواجز" (تشيك ـ بوينت) (2003) وهو

عرض أزياء خاصة بالـمرور عبر حواجز الاحتلال. حسّ الكوميديا السوداء الخفيفة نجده أيضاً في أعمال لاريسا صنصور. أمّا فيديو ساندي هلال، فيقدِّم من خلال شاشتين مختلفتين روايتين متناقضتين لحياة الـمخيم على لسان شابتين من سكانه، تُبثّان في الوقت نفسه. أما سهى شومان، فيبدو عملها أقرب إلى تسجيل الذاكرة الفلسطينية الراهنة. وقد انفرد تيسير البطنيجي في "يوميات غزة" بلغة بصرية بالغة الحساسية والغنى، تتميز بها أعماله في مجال الفيديو... .